دائرة الضياع

كانت تغمض عينيها ، مستأنسة بوحدتها تحلم أن تظل هكذا مغلفة بالصمت أفاقت منتفضه على صدى صوت يزجرها

- هل ستعودين للنوم الساعة قاربت على التاسعة؟

بصوت خفيض أجابت: أستريح حتى تستيقظ فلم أنم جيدا أمس

- تحركي..

إرتدت عباءتها على عجل .. راحت تسير بخطوات متثاقلة .. ووجه قد عبثت به الحياة القاسية ورسمت عليه خطوطا بعدد سنوات عمرها .. وعيون مثقلة ببقايا نوم لم يكتمل وقد عجزت عن فتحهما .. أرهقها السهر واضناها الإرهاق .. تعثرت بلا سبب .. سقطت ولامس جبينها الثرى .. أسندت رأسها مستسلمة واجتمع حولها من يرفعها ... ومن يسألها فقد ظن الجمع أنها اصيبت بسوء..

ظلت ساكنة.. سجدت في تضرع أن يرحمها الله ويلهمها القوة .. ورفعت وجهها فلم تر إلا أقدام تحيط بها .. لم تجفل فقد اعتادت من زمن لا تنظر إلا للأقدام فالوجوه أصبحت تدميها تربكها ونهضت متثاقلة تنفض ما أصاب جسدها وملابسها وراحت تهرول فقد تأخرت.. اشترت الإفطار.. عادت .. فاستقبلها بصوت كالرعد .. متكاسلة متخاذلة ألا تعرفين أن لدى موعد ؟! ..

وتساءلتْ بصمت أي موعدا هذا ؟ فهي تعرف انه سيجالس أصحاب السوء على قارعة الطريق يدخنون ..يتهامسون .. ينظرون للغادي والرائح ولا يحترمون احد..

أكل طعامه بتأفف وخرج .

وبالتأكيد لم يهتم أن كانت تملك مالا أو تحتاج إلى شيء ..

وقفت تراقبه من نافذتها أين الزوج الذى تزوجته ... أين من ظلت تجمع معه المال حتى اشترى تلك الشقة الصغيرة وهى كل ما يملكانه من الحياة ..

سبع سنوات عجاف كانت تقطر على نفسها الى حد التقشف.. حتى تزوجا وكان نجارا بارعا..

أعاد تجهير أثاث منزلهم المشترى من سوق المستعمل وكانت تفتخر بعملة ..

رزقه الله بالمال ومع المال رزقه بأصدقاء علموه كل الرزائل

ظننت بعد الزواج ستستريح ... ولم يمر إلا عاما حتى تدهور الحال وعادت للعمل

سمعت الساعة تدق الحاديه عشر ولم يتبق إلا ساعة ونصف على ميعاد مدرسة طفلها ..

وأعدت على عجل طعامها وخرجت تأتى بصغيرها من مدرسته ... هو في الصف الأول الإبتدائي ... أنه دعامتها التي تمنع عقلها من الجنون .. أخذته على عجل كأنما يطاردها ألف عفريت نظرت الى واجهة أحد المحال بالصدفة.. فرأت صورتها.. عبست من تلك العجوز لا اعرفها وكيف تحمل طفلي.. وانتفضت على صوت طفلها أمي أمي ما بالك؟

انتبهت أهذا انعكاس لصورتها؟ ... ماذا أصابني؟ وجه قد ناهز الستين وعمر ما تعدى الأربعين ... وعادت للمنزل..

وقفت امام المرآة تراقب الوجه الكالح والجسد المكون من عظام وجلد وتنهدت بأسى واستفاقت على صوت طفلها..

- **جائع يا أمي ... عادت سريعا للواقع وقدمت له الغذاء وتركته مع جارتها لتذهب لتلك العجوز المريضة لتجالسها حتى العاشرة مساء ... تعود منهكه تعطى لجارتها الخمسة جنيهات نظير رعايتها لابنها وتحمله وقد غفا على الأريكة ..**

أيقظته بهدوء وأطعمته مما احضرت معها من بقايا طعام ... ثم ارتمت على فراشها ونامت منهكة بلا أحلام بلا حركه ..

تستيقظ على صوت الباب ويد تدفعها لتستيقظ ... ونظرت للساعة إنها الواحدة والنصف ... وبلا مقدمات ينتهك حرمة جسدها الهزيل .. ويغتال مشاعرها بلا رحمة.. وينام بدقائق ويتردد صدى صوته في ارجاء الغرفة ... وتعود للنوم.. ولا تسمح لنفسها بالتفكير أو الندم أو الرثاء للذات فتلك رفاهية لا تملكها ..

مع شروق الشمس تعود لدائرة لا تنتهي تتحرك كبندول الساعة في إيقاع ثابت

توقظ صغيرها.. تعد إفطاره تصطحبه لمدرسته.. وتقف لتراقب من هم على شاكلتها متهالكي الأبدان ، منهكي العيون والنفوس ، مضعضعي الأرواح ، لم تجد يوما ما يبعث على الأمل .. ولم تحلم أن تكسر الدائرة كيف وقد أصبحت عالقة فيها بلا إرادة أو روح..